المادة: المدارس اللسانية **الأستاذ: فريد زغلامي**

المستوى: السنة الثانية دراسات أدبية

المحاضرة السادسة: مدرسة كوبنهاغن (المدرسة النسقية/ الغلوسيماتيكية)

ظهرت مدرسة كوبنهاغن في مطلع القرن العشرين، وقد تأثرت بالمفاهيم الجديدة التي جاء بها دي سوسير في اللسانيات، وتعلقت بشكل قوي بالمنطق القديم والحديث كما صاغة الفلاسفة. وقد دعاها بعض الباحثين "نظرية لسانية"، ولا تمثّل مدرسة بالمعنى الكامل للكلمة.

وقد حاول أصحابها إحداث ثورة عارمة على الأساليب القديمة لدراسة اللغة، وأضفوا على دراساتهم صبغة علمية رياضية، ولفقوا مصطلحات غريبة، ورموز جبرية؛ مما أحدث ردود أفعال عنيفة من قبل اللسانيين على اختلاف انتماءاتهم الفكرية والفلسفية.

أولا: نشأة مدرسة كوبنهاغن:

يرجع الفضل في تأسيس مدرسة كوبنهاغن إلى اللساني الدنماركي "لويس يلمسليف" (1899 – 1965)، صاحب النظرية اللغوية المشهورة "الرياضيات اللغوية".

حيث اشترك في عام 1933م مع الباحث الدنماركي "أودال" في بلورة بحث علمي متخذين موقعا مغايرا من مدرسة براغ، وفي عام 1935م، اقتراح هذان الباحثان تسمية النظرية الجديدة التي كانا بصدد تقديمها في المؤتمر الثاني للعلوم الصوتية بعلم الفونيمات (Phonematics) بوصفها نظرية متميزة عن نظرية براغ الفنولوجية، وأثناء المؤتمر الدولي الثالث للسانيات الذي انعقد بكوبنهاغن سنة 1936م، كانت رغبة التمايز

عن علماء مدرسة براغ قد تجسدت بخلق مصطلح "الغلوسيماتيك" (Glossématique)[1]

وفي عام 1938 أسس "يلمسليف" و "فيغو بروندال" مجلة "Acta Linguistica" ملحقة بعنوان فرعي "مجلة دولية للسانيات البنيوية". وكان هذا العمل أو فعل رسمي لنشأة البنيوية بوصفها اتجاها جديدا في أوروبا. ومذ عام 199م بدأت أعمال الحلقة اللسانية لكوبنهاغن تتوالى على منوال أعمال حلقة براغ.

وعلى الرغم من أن "يلمسليف " قد أصدر مؤلفات عديدة؛ فإن نظرية اللغوسيماتيك" قد أخذت شكلها الحالي من مؤلفاته الثلاثة:

1. مبادئ النحو العام (1928).
2. محاولة في نظرية المورفيمات (1936).
3. مقدمة نقدية في نظرية اللغة(1943).

ثانيا: الأفكار والرؤى اللغوية لمدرسة كوبنهاغن:

جاءت مدرسة كوبنهاغن لإقامة لسانيات علمية مبنية على أسس رياضية ومنطقية تعنى بوصف الظواهر اللغوية وتحليلها وتفسيرها بطريقة موضوعية؛ لذا عاب هذا الاتجاه على الدراسات اللسانية السابقة تناولها للسان بعده وسيلة وليس هدفا في حد ذاته. ومن هنا يعتبر الاتجاه الغلوسيماتيكي اللسان منظومة متكاملة منغلقة على نفسها، وجوهره يكمن في العلاقات النسقية بين وحداته.

وقد انطلق هذا الاتجاه من مبدأين سوسيرين هما:

---

1) وهي من الكلمة اليونانية (glossa) بمعنى كلمة أو لغة، ومنها كلمة (glossary) بمعنى قائمة مفردات.

1. إن اللسان شكل وليس مادة، ويكمن جوهره في العلاقات بين وحداته.
2. تتابين اللغات بعضها عن بعض من حيث المستوى التعبيري والمضموني.

يعمم هذين المبدأين، ليكتشف أن الفرق بين لسانيين هو في التعبير وليس في المضمون؛ ولهذا يمكن الترجمة من لسان إلى آخر.

- يرى أن الوحدة اللسانية لا تستمد قيمتها من ذاتها، بل من العلاقات التي تربطها بالوحدات الأخرى.
- يحدد البنية بأنها نسيج من المتعلقات أو الوظائف، وبناء على ذلك فإن اللسانيات البنيوية ترتكز على دراسة الوظائف وأنواعها.
- يميّز بين التعبير والمضمون من جهة، والشكل والمادة من جهة ثانية في البنية اللغوية؛ فمستوى التعبير (الدال) ومستوى المحتوى (المدلول) كلاهما مكون من مستويين هما: مستوى الشكل ومستوى المادة. ولهذا ذلك هو أنه ينبغي أن تفهم اللسانيات بالجانب الصوري الشكلي فيها، وتنتج عن هذه التعالقات أربع طبقات منطقية:

1. شكل التعبير (نظام الدال، الحروف المؤلفة للكلمة كما تواضعت عليها الجماعة).
2. مادة التعبير (الأصوات كمادة: فيزيولوجية و فيزيائية).
3. شكل المحتوى (البنية التركيبية والمعجمية).
4. مادة المحتوى (الأفكار).

والجدير بالذكر أن "يلمسليف" يركز اهتمامه على الجانب الشكلي للتعبير والمحتوى مهملا المادة؛ أي الأصوات والأفكار، ومن هنا فإن العلامة اللغوية تتكون من: شكل التعبير + شكل المحتوى.

- يحصر يلمسليف موضوع اللسانيات في دراسة كل من قوانين صياغة الدال وقوانين صياغة المدلول؛ أي دراسة العلاقة النسقية التي تنظم كلامهما.
- لا تهتم هذه النظرية بالأصوات والحروف والمعاني في ذاتها، ولكن بعلاقاتها المتبادلة ضمن سلاسل الكلام بنماذج النحو. فهذه العلاقات هي التي تصنع نظام اللغة الداخلي، وتجعلها تتميز عن باقى اللغات الأخرى. أما الأصوات والحروف والمعاني لوحدها، فليس لها أي علاقة بالنظام؛ لذا فالوحدة اللسانية سلبية بشكل خالص وعلائقية، وأنها تتحدد بكونها لا تستمد قيمتها من ذاتها، بل من العلاقات التي تربطها بالوحدة الأخرى.

ثالثا: أسس ومبادئ التحليل اللغوي عند مدرسة كوبنهاغن:

بحكم أن "يلمسليف" رام العلمية والدقة الرياضية في تفسير مختلف القضايا اللغوية، والتعبير عنها بمعادلة رياضية بعيدة عن الذاتية والتفسيرات غير العلمية، وضع أسسا ومرتكزات يمر عليها تحليله اللغوي، وتقوم عليها نظريته وهي:

أ- **مبدأ التجريبية:** يعتمد هذا المبدأ على الملاحظة والاختبار، ويجمع بين ثلاثة معايير تعد قواعد أساسية لكل التراكيب المنطقية:

أ-**1**- **اللاتناقض:** يراد به عدم تناقض المقدمات وما يضعه الباحث من أسس مع ما يصل إليه من نتائج؛ أي لابد من وجود اتساق بين المقدمات والنتائج على الأقل داخل النظام الذي يدرس فيه.

أ-**2**- **الشمولية:** أي تكون النتائج شاملة، بحيث تعم قوانينها على كلالحالات الأخرى التي تتشابه مع الحالة المدروسة.

أ-**3**- **التبسيط:** تبسيط القوانين وجعلها متاحة للتطبيق على مختلف الظواهر اللغوية.

ب- مبدأ الإحكام والملاءمة:

يرى "يلمسليف" أنه لكي تكون النظرية ناجعة من الناحية المنطقية لابد أن تخضع لمعيار الإحكام أو الاتساق التام؛ أي أن تكون النتائج الطبيعية لأي قضية تابعة لمقدماتها المنطقية، بالإضافة إلى أنه يمكن تطبيق النظرية اللسانية على مدونات لغوية أخرى، وتقييمها بطريقة موضوعية.

ولكي تكون النظرية ناجعة؛ لابد أن تكون ملائمة، وتكون النظرية ملائمة عندما تُلبي مقدماتها شروط التطبيق على عدد كبير من المعطيات التجريبية؛ أي ملائمة للتطبيق على نصوص لغوية عدّة.

رابعا: منهج الدراسة الغلوسيماتيكية:

حسب "يلمسليف" هناك منهج واحد لتحليل العبارات المكتوبة والمنطوقة؛ لأن أهم شيء في اللغة هو بنيتها الشكلية التي تتمثل في الشبكة الواسعة من العلاقات التي تربط جميع عناصرها دون استثناء، وليس المادة الخاصة التي تتكون منها هذه العناصر. وفيما يخص اتجاه التحليل؛ فإن المنهج الغلوسيماتيكي يبدأ دائما بالوحدة الكبرى، ثم الصغرى فالأصغر منها...، فيتناول النص الشامل سواء كان مكتوبا أو منطوقا، ثم يقوم بتحليله تدريجيا إلى فصول وفقرات وجمل ومفردات وغلوسيمات وحروف وأصوات، والنظر إلى العلاقات التي تجمعها وتربط بينها.

ويرمي هذا المنهج إلى دراسة علمية على منوال العلوم الدقيقة، من خلال نظام تحليلي مستقل عن الظواهر غير اللغوية، ومتحرر عن كلّ المعطيات الفيزيائية والفيزيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية، والهدف الأسمى هو إرساء قواعد كلية يستنبط من خلالها الباحثون قواعد خاصة بكل اللغات في آن واحد.

خامسا: الانتقادات التي وجهت للمدرسة:

رغم ما حققته هذه المدرسة من نتائج علمية باهرة، إلا أنها لم تخلُ من نقائص ونقاط ضعف، أسهمت في عدم الإقبال الواسع على هذه النظرية، والتي يتمثل بعضها في: الحشد الكبير من المصطلحات الغريبة والمنفّرة، القوانين الرياضية والجبرية التي استعملت لشكلنة التحليل الوصفى، وإضفاء صبغة الدقة والعلمية على كل الدراسات اللغوية.

مراجع المحاضرة:

- أحمد حساني، المدارس اللسانية بين التنظير والإجراء.
- عبد الجليل مرتاض، الروافد اللسانية لتحليل الخطاب.
- أحمد عزوز، المدارس اللسانية(أعلامها، ومبادؤها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي).
- خليفة بوجادي، اللسانيات النظرية.